الأبعاد النفسية والاجتماعية للتراث الشفوي وإشكاليات التلقي

الدكتور إيكوفان شفيق

قسم الإعلام جامعة تيزي وزو

مثّل التراث بشقّيه المادي والشفوي، جانبا مهما في حفظ الموروث الثقافي، وتداوله بين الأجيال والأمم في الحضارات الانسانية. غير أن التراث الشفوي، كان له الحظّ الأوفر في انتشاره، نتيجة طبيعته البسيطة في المعني والصناعة اللغوية، والتي استطاعت أن تحطّ على مختلف فئات المجتمع، دون الاصطدام بمشكلة المستوى التعليمي. غير أن سيرورة مشواره كان قصيرا، بسبب اندثار الكثير من مضامين هذا التراث نتيجة النسيان، أو ضعف التلقين، مقارنة بالتراث المادي الذي استطاع الصمود عبر حقبات من الزمن.

وللتراث الشفوي أبعاد نفسية واجتماعية على قدر كبير من الأهمية، تساهم بشكل فعّال في تأسيس قيم ومبادئ المجتمع، وترمز إلى مقوماته العميقة، وهو ما يميّزه عن مجتمعات أخرى. فالهوية الاجتماعية، تتحدد استنادا إلى ما يميّز أفراد هذا المجتمع في خصائصهم الثقافية، التي تتأتّى من التراث نفسه.

فالتراث ما زال حيا في قلوب الناس، ويؤثر فيهم سلبا وإيجابا يلجؤون إليه ساعة الأزمات، ويحتمون به إذا اشتدت بهم عوائد الدهر... مطلق يضع لهم معايير السلوك. ويحدد لهم تصوراتهم للعالم. بل أنه أكثر وضوحا من الحاضر نفسه لأنه حضور معنوي وفعلي، ذهني ومادي، عقلي وحسّي. البداية به ليست مثالية بل عن الواقعية. فالتراث واقع وليس مثالا وإن إزاحته بدعوة الواقعية أو المادية الجدلية لهو إزاحة للواقع نفسه وتخلّ عن النظرة العلمية. غير أن هذا التمايز السيوسيو نفسي، قد يتعذّر في ظلّ إشكالية التلقي لمحتوى التراث الشفوي، وعليه نطرح المشكلة التالية : **ما هي الأبعاد الاجتماعية والنفسية للتراث الشفوي، وما هي أهم مشاكل التلقي لهذا التراث ؟**

أولا : أهمية التراث في المجتمع :

يشير " بشير خلف " إلى أن التراث هو تراكم خبرة الإنسان في حواره مع الطبيعة، وحوار الإنسان مع الطبيعة إذْ يعني التجربة المتبادلة بين الإنسان ومحيطه، وهذا المحيط الذي يضم حتى الإنسان الآخر فرداً كان أم جماعة. التراث يعني كل مفهوم يتعلق بتاريخ الإنسان في تجارب ماضيه، وعيشه في حاضره، وإطلالته على مستقبله. أما التراث الحضاري والثقافي فهي الممتلكات والكنوز التي تركها الأولون، حيث هي السند المادي واللاّمادي للأمم والشعوب؛ من خلالها تستمدّ جذورها وأصالتها، لتضيف لها لبنات أخرى في مسيرتها الحضارية، لتحافظ على هويتها وأصالتها. [1]

محاولة إعادة بناء التراث تصبح ضرورة ملحة لأن مجتمعاتنا النامية تراثية والنموذج الاجتماعي التراثي يكون في نمطه يعاني من عيوب رئيسية كأن يؤخذ التراث فيه غاية في ذاته وليس وسيلة لتقدم الشعوب ونهضة المجتمعات، ويكون التراث منفصلا عن الواقع وليس محددا له وموجها إياه، لأن التراث فكر وواقع معا، ويؤخذ التراث كله أو يُلغى كله ولا يقبل التجزئة أو الانتقائية فهو "حقيقة أبدية لا تتطور أو تتغير ولا يخضع لتأويل أو تفسير أو وجهة نظر يشمل الزمان والمكان ويحتويهما فيه فلا فرق بين الماضي والحاضر والمستقبل ولا وجود لمراحل التاريخ أو نوعية المجتمعات أو خصوصيات الشعوب، وبالتالي تم التنكر للحاضر كلية". والواقع برمته فاسد لا يجوز تطويره بل هدمه من الأساس ويبدأ البناء من جديد. وبالمقابل، نجد النمط اللاتراثي يأتي كرد فعل على النمط التراثي وهو نمط أو نموذج يقطع صلته بالتراث القديم لبناء الجديد، "على أسس من العلم والمعرفة والجهد الإنساني الخالص بعد اكتشاف عورات التراث وعدم ثباته أمام العلم الجديد، فالتقدم نحو الجديد مرهون بالتخلص من القديم وهو نمط عيوبه كثيرة،

وإذا كان التمسك بالموروث ضمانة حقيقة لاستمرار وجود الأمة بهويتها وخصوصيتها، فإن الأمة العربية أحوج من غيرها لممارسة هذا الفعل، خاصة في ظل ما تواجهه الذات العربية

والهوية القومية للأمة من تحديات بغية تذويب الذات وتشتيتها، فتمسكها بالموروث القومي بمأثوراته الشعبية مطلب ملحٌّ للدفاع والحفاظ على هذه الذات؛ إلا أن تراثنا الثقافي لا يزال يعاني من الإهمال، وعدم الالتفات الواعي بالدراسة، والتفحص للتعرف على الأسس التي قامت عليها أمتنا العربية، بالرغم من أنه يشكل وحدة متماسكة في الأسس العامة التي بني عليها وفي الطرق التي يؤدي بها، وفي مضمونه أيضاً من حيث المعنى والأهداف. [2]

هذا بالإضافة إلى أن الموروث الشعبي، عامل هام في تربية الأجيال الذين يولدون صفحة بيضاء، وينالون الثقافة من المجتمع الذي حولهم، فيفترض توظيف ذلك الموروث بطريقة تضمن المحافظة على العادات الصحيحة والتقاليد الفاضلة وهكذا فإننا نروج تلك العادات والتقاليد محلياً، ونحافظ على هويتنا.

ثانيا : الأبعاد الاجتماعية للموروث الشفوي :

أ. **البعد التربوي** : لقد أصبح ، كما هو معلوم ، الاهتمام بثقافة الطفل من الضرورات الملحة ، نتيجة ما تواجهه أمتنا في وقتنا الراهن من تحديات وضغوطات و من غزو ثقافي وإعلامي ، ونتيجة التغيرات السريعة المحيطة بالطفل والتي لا يكون مستعداً دائماً لمواجهتها ولا يكون مسلحاً لمقاومة ما تحدثه فيه من آثار سيئة من مثل خلخلة نظامه القيمي واضطراب تصوراته وفقدان ثقته بنفسه وفي مجتمعه. إننا في حاجة إلى تنشئة الطفل على إحساس يجعله يعتد ويفخر بماضيه . ويجعل ما يتضمنه من جوانب مشرقة سنداً قوياً في الإحساس بوجوده و ذاته في قلب الحضارة الإنسانية المعاصرة ،شديد الثقة في إمكانياته العقلية والوجدانية.

فالتراث الشفوي، يحمل في طياته قيما ومبادئ تترسّخ في ذهن الطفل، ويرتكز عليها في بناء منظومته الثقافية والفكرية. وهي بمثابة مرجع أدبي يعود إليه الفرد في قياسه للمواقف والأحداث. فطالما كانت ردود أفعال من تشبعوا بالموروث الثقافي الشفوي، على كثير من المواقف، أمثالا وأقوالا مأثورة، معتبرين محتكمين إليها في اتخاذ المواقف، وتبيان الصواب من الخطأ.

ب. **المحافظة على الهوية الوطنية** : عندما يتعرض مجتمع الى هزات عنيفة وتغييرات حادة كما هو الحال في المجتمع الجزائري فإن إشكالية السلوك الاجتماعي للأفراد والشعور بالانتماء تظهر بشكل جلي وحاد. وإن عملية التثقيف لأفراد المجتمع تمر حتماً بأزمة تتوازى مع الأزمة الثقافية بنفسها، وليس على المستوى السياسي فقط، وانما على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية وسواها. ويبدو لنا أن أهمية إيقاظ التراث لدى المواطنين والتثقيف به هو واحد من الأساليب المهمة في المحافظة على الهوية وتعزيز شخصية الفرد من حيث القيم والهوية الأسرية والوطنية . إن اهتمام الامة أو الشعب بالتراث هو أبرز عوامل استمرارها كجماعة لها هويتها التي لا نعرفها إلا بها فشعوب العالم تعرف العرب مثلاً من لغتهم وتأريخهم وسائر مكونات ثقافتهم وعلى الأخص تراثهم سواء الرسمي أو الشعبي منه وتأتي التربية مكملةً في جهودها المتنوعة للمحافظة على الهوية الوطنية , بصفتها النموذج الأعلى للتثقيف في المجتمع , فإذا وصفنا شخصاً أو طفلاً مازال يخضع لعملية التثقيف بأنه "قليل التربية" أو "غير مربى" أو "مربى" فإننا نعني أن الجهات القائمة على تثقيفه لم تقم أو قامت بواجبها في تثقيف الطفل أو الطفلة بصورة ملائمة . [3]

ت. **توحيد وتجديد القيم** : يعتبر التراث الشفوي، المخزّن الأهم لقيم المجتمع، وتناقله وانتشاره، ما هو إلا تجديد للقيم التي نشأ عليها هذا المجتمع. فمع موجة الحداثة التي تعرفها البشرية، اصبحت القيم والثقافة المحلية محلّ تهديد وخطر للزوال والاندثار، وهنا تبرز اهمية التراث الشفوي، الذي يمكنه أن يجدّد هذه القيم والثقافة بشكل متواتر، بعيدا عن الإغراءات الثقافية الحاصلة. لكن يشترط هنا أن تتم عملية التلقين، وفق معايير مضبوطة، ومتواترة، يراع فيها ترسيخ الموروث التراثي في مستوياته الثلاثة : المستوى اللغوي، المستوى المفاهيمي، وكذا مستوى البعد الدلالي.

ودور التراث الشفوي، لا ينحصر في تجديد قيم المجتمع فحسب، بل يعمل على توحيد هذه القيم، في قوالب لغوية ورمزية متعددة، تتوافق في مجملها مع التوجه العام للمجتمع، وتذهب بعيدا في رمزيتها، مقدمة مظهرا جماليا للثقافة العامة. وكثيرا ما توصف القبائل والعشائر

بما يميزها من أمثال وأشعار ومأثر. فتنفر بخصوصياتها الجمالية، لكن دون أن تتعارض مع التوجه العام لهذا المجتمع.

ث. **مواجهة المشكلات الاجتماعية** : نحن بحاجة إلى قيم أخلاقية ومثل عليا نرسي عليها قواعد حياتنا الاجتماعية، ونضبط بها سلوك الأفراد والجماعات، ولا شك أن الاعتماد على القيم السائدة ليست قادرة دائما على تقويم الافراد، إذ أن القناعات القائمة صارت تزعزعها أعاصير الحضارة الغربية وقيمها الفلسفية والاجتماعية دون أن تتمكن من الصمود. ذلك لأن بعضها توارثته الأجيال دون فحص لجدواه وصلاحه، ولا نستطيع إرجاع الكثير منها أصول صحيحة مستمدة من القرآن والسنة.

ولان التراث الشفوي يحمل من القيم، ما هو متفق عليه اجتماعيا، ولأنه أيضا يستعمل على نطاق واسع في المجتمع، فإنه قادر على التواجد ضمن المنظومة التفكيرية للفرد، وقادر على مواجهة الكثير من الآفات الاجتماعية، لمجرد حمله لهذه القيم بشكلها الجمالي الذي يساعدها على الترسّخ في ذهن المتلقي. فكثيرا ما يتراجع الفرد عن فعل أو سلوك مرفوض اجتماعيا، لأنه مطّلع على مثل شعبي، أو قول مأثور ينكر ذلك الفعل والسلوك. فالتراث الشفوي، وجوده مرتبط بتقرير جملة من القيم، ونبذ أخرى.، إضافة إلى تسهيل الحياة وفق منظور منطقي، مبسّط. [4]

ثالثا : الأبعاد النفسية للتراث الشفوي :

لا يقتصر الموروث الشفوي على جوانب اجتماعية فحسب، بل هو قبل كل شيء، فاعل نفسي في حياة الفرد، يترك أثارا واضحة على الجوانب النفسية للمتلقي، الذي يتفاعل مع هذا التراث، مكونا تصورا متوازن عن الحياة وكيفية التعامل معها. ويمكن حصر أهم الأبعاد النفسية للتراث الشفوي فيما يلي :

أ. **الشعور بالانتماء** : الانتماء بحاجة إلى "مرجعية" يعود الانسان لها كلما شعر أنه بحاجة الى مكان يضمه وناس تؤويه. وتعتبر مشكلة الانتماء للجماعة من بين أكثر المشاكل النفسية التي تواجه الفرد، وتجعله يعيش حالة اغتراب نفسي، تدفعه فيما بعد إلى

الغوص في مشاكل نفسية عويصة. إلا أن التراث الشعبي، بساعد بشكل كبير في تحسيس الفرد لأنه جزء من الجماعة التي يتشارك معها قيما ومواقف معينة، وهو بتبادله لهذا التراث يشعر أكثر بوجوده وفعاليته ضمن الجماعة الكبيرة. ولقد ارتبط الإنسان منذ نشأته بشيئين هما المكان والزمان فالإنسان مرتبط بالمكان من حيث وجود ذاته وإذا كان المكان يدل على وجود الإنسان في جزء معين منه فان الزمن هو الذي يحدد مدى هذا الوجود ومقداره. فكما اللغة والعادات والتقاليد، تجمع الأفراد ضمن زاوية موحّدة، كذلك التراث الشفوي، يربط الفرد بالنسق الجمعي، ويجعله يشعر نفسيا أنه فاعل ضمن النسق العام، ومرتبط بالتوجه العام للأفراد المحيطين به.

ب. تقدير الذات، وزيادة الثقة بالنفس : يعمل الموروث التراثي الشفهي على تقوية ثقة الفرد بنفسه، بحيث تعمل الأمثال الشعبية مثلا أو الأقوال المأثورة، فضلا عن الاشعار المحلية على اكتساب مهارات لغوية، وكذا فنية في طريقة التعامل مع النفس ومع الأخر، وبالتالي، ترتفع ثقة الفرد بنفسه، استنادا إلى مستوى القناعة التي يعتمدها استخلاصا من هذا التراث، فيقتنع به، ويعمل بمضمونه، ويواجه به غيره.

كما يقدّر الفرد ذاته أكثر إذا كان مرتبطا بهذا الموروث، فهو يعتبره مرجعا أدبيا وثقافيا، ومجرد شعوره بالانتماء إليه، يقدر نفسه، ويرى فيها قدوة ومثالا ايجابيا في الحياة. ولهذا نجد الفئات الاجتماعية التي تتبنى هذا التراث، أكثر اعتزازا بذاتها وتقديرا لمكانتها مقارنة بالفئات الأقل التزاما بمضامين هذا التراث.

الإقبال الايجابي على الحياة : أثبتت بعض الدراسات الاثنوجرافية أن المجتمعات الأكثر محافظة على تراثها المحلي، والأقل تعرضا لموجة الحضارة، أكثر إقبالا على الحياة بإيجابية من نظيرتها من المجتمعات، ذلك لأن التراث المحلي الذي يمتاز بالثبات والاجماع، يوفر بيئة مناسبة للتأقلم، والتفكير بإيجابية في الحياة. ويتأتى ذلك من خلال حفظ الذاكرة المجتمعية ومن تم الحفاظ على الروابط الاجتماعية التقليدية. وحيث أن هذه الذاكرة تشكل إطارا معياريا للسلوكيات وللممارسات أي مرجعا ذهنيا بالنسبة للسكان في حياتهم اليومية فهذا يجعل ضبط المجتمع يمر أيضا عبر ضبط تطور هذه الذاكرة، التي تتوحد من خلالها الأفكار والجهود ويجتمع أفراد المجتمع على تاريخ واحد.

و تؤكد حقائق الأمور أن العولمة لا تمثل خطراً حاسماً إلا على الشعوب والأمم التي تفتقر إلى ثوابت ثقافية، في حين أن الأمم التي تمتلك رصيداً ثقافياً وحضارياً غنياً، فإنها قادرة على الاحتفاظ بخصوصيتها والنجاة من مخاطر العولمة وتجاوز سلبياتها، وهي بذلك تستطيع التحكم بالآثار السلبية لهذه العولمة التي أصبحت ظاهرة واقعية تفرض نفسها بحكم قوة النفوذ السياسي والضغط الاقتصادي والتغلغل الإعلامي والمعلوماتي.

فنفسية الانسان، تميل إلى الحاجة للشعور بالاستقرار، وكذا الحاجة إلى المرجعية الثابتة أثناء تداخل وتنافس الأفكار الغريبة، وحين يكون الفرد، منتميا إلى تراث واضح ومتماسك، فإنه يقبل على الحياة، دون أن تعيقه موجات التحديث، أو تجعله يعيش حالة الإغتراب داخل مجتمعه [5]

ت.زيادة الذكاء والحكمة : يساهم التراث الشعبي الشفهي في رفع مستوى ذكاء الفرد

وحكمته. فمضامين هذا التراث التي تتناول قصص واقعية، إرشادات ونصائح، حكم وتوجيهات.... تمثل في النهاية في صنع التراكمية المعرفية للفرد، وتساهم في رفع مستوى ذكائه في تعامله مع الظروف والأحداث.

فمؤسسات التنشئة الاجتماعية خاصة المدرسة، التي ينظر إليها على أنها المصدر الأساسي لبناء ورفع مستوى ذكاء الفرد، ليست الوحيدة المسؤولة عن ذلك، فجملة القيم التي يتلقاها الفرد خاصة في سنوات حياته الأولى، من المجتمع والأسرة، هي حجر الأساس في ذلك. خاصة أن التراص الشعبي يمتاز بالجاذبية بفضل المحسنات اللغوية، وبساطة الأفكار والمعاني، ما يجعله أنسب للتلقي المباشر، وأكثر حظا لبقائه في ذاكرة الفرد. ومن خلال قياس مضامين هذا التراث مع ما يواجهه الفرد في حياته اليومية، يكتسب مهارات عالية، تعمل على تنمية ذكائه، وتجعله قادرا على تنويع مواقفه وفق الظروف التي يواجهها في حياته.

رابعا : إشكاليات تلقي التراث الشفهي :

وإذا كان البعض من المثقفين العرب اختلفوا، ولم يتفقوا بشأن معظم الثنائيات المتداولة في الفكر العربي، فإنهم اتفقوا في المعظم على سبيل المثال أن الموروث الشعبي العربي لا يحمل أية قيمة إنسانية وحضارية تستدعي التوقف عندها ودراسة عوامل تكونها، كما اعتبروه خالياً من أية قيمة فنية، أو جمالية أو أدبية، فأغفلوا بذلك قيمته كمصدر من مصادر ثقافتهم ونتاجهم الفكري والأدبي، بل راح بعضهم إلى أبعد من ذلك في تعاليه، بوصف التراث الشعبي خطراً يجب التصدي له، والقضاء عليه وهو موقف تبناه معظم المثقفين العرب الحداثيين، وأنصار الثقافة الغربية، فربطوا بين الموروث الشعبي وبين كل مظاهر التخلف والرجعية والانحطاط التي شابت الحياة الفكرية في العالم العربي، كما اعتبروا أن ممارسة العادات، والتقاليد سلوك شائن مخالف لمنطق التطور العصري. غير أن الواقع كثيرا ما أدحض هذه التوجهات، وتوصلت الكثير من الدراسات إلى سرد فضائل كثيرة للتراث الشعبي، خاصة الشفهي منه، وانتهت بذلك حقبة من الجدال عن جدوى هذا التراث في الحياة الاجتماعية.

إن الاستغلال الإيجابي لهذا التراث، يلزم علينا أولا ضمان تبليغه بالمستوى المطلوب، ومنهج هذا التبليغ قد يحدد مدى نجاح هذا التراث في بلوغ أهدافه السامية. غير أن هناك بعض العوائق التي تحدّ من دور التبليغ، نذكر منها :

1. **اللغة** : اللغة أداة تواصل بين الناس، فهي توجد حيثما كان هناك أناس يعيشون في مجتمع، كما أنه لا يمكن لها أن توجد دون أن يكون هدفها التواصل البشري .حتى تلك التي تعد ميتة الآن، فقد كانت في القديم وسيلة للتواصل.

و لكل لغة من اللغات شكلان متمايزان هما الشكل المنطوق و الشكل المكتوب .و على عكس ما يعتقد البعض فإن هناك اختلافا كبيرا بين الإثنين، إذ يصعب القول أن اللغة المكتوبة ليست إلا مجرد تجسيد للغة المنطوقة، ذلك لأن ذلك حتما سيولد خلطا بين الثنائية السابقة و الثنائية لغة / كتابة.

وتتميز اللغة القديمة بخصائص منفردة أهمها التركيز على المعنى المجرّد للكلمة والذي غالبا ما يفقد المدلول لعدم تطوره أو تنقطع العلاقة بيم الدال والمدلول ما يفرغ الكلمة من معناها الأصلي. كما أن اللغة التراثية تحمل مصطلحات أصيلة، لم تعد تعرف رواجا بين الأجيال الحالية، وهو ما يفقد التراث الشفوي مدلوله الحقيقي. غير أن هذا المشكل من شأنه أن يزول إذا اعتمد القائمون على نقل هذا التراث تفسير وتوضيح المعاني، بدل الاكتفاء بنقلها حرفيا.

ب. الانفصال عن السياق : من الواضح أن التراث الشعبي مرتبط بسياقات تاريخية عديدة، على غرار السياق الثقافي، السياسي، الاجتماعي..... هذه السياقات هي ما تمنح المضمون الدلالات الإعتبارية التي قد لا تلمس من خلال المصطلحات أو الكلمات لوحدها، وتجعل منه ذو مدلول معرفي وإعلامي. ولهذا كثيرا ما نتلقى التراث الشعبي الشفوي مبتور السياق، فلا يتجاوز كونه كلام مأثور، فقير من حيث الدلالات السياقية التي وجدت في إطارها.

وأهمية السياق لا يتعلق بدلالات المضمون فحسب، بل يرتبط بمؤشر التلقي لدى الجمهور، فهذا الأخير يحتاج إلى المعلومة المتكاملة ذات الدلالات المفهومة، بدل المعلومات المبتورة التي تفتقد إلى سياق مفهوم. فعملية التلقي عند الجمهور الرقمي مثلا تمتاز بالانتقائية والسرعة، فهو أمام كمّ هائل من الرسائل والمعلومات، يختار منها ما يشاء ويرضي حاجاته، كما أن الرسائل التي يقوم باختيارها هي تلك التي تستطيع أن تفرض نفسها بسرعة من خلال جملة من الخصائص الجمالية والفنية ذات التأثير المباشر على عملية التلقي. وعلى هذا الأساس تقلّ حظوظ الموروث الشعبي في فرض نفسه على الجمهور إذا لم تارع هذه الخصائص.

ت. الابتعاد عن التوثيق : صحيح أن التراث الشفهي هو أكثر انتشارا من التراث المكتوب، ذلك لأنه يخاطب جميع الفئات على مختلف المستويات. إلا أن عدم توثيقه، قد يؤدي إلى اندثاره، بزوال القائمين عليه.

ويعد الحفاظ على المواد التراثية أمراً في غاية الأهمية لما تمثله تلك المواد من ذاكرة الأفراد والأمم بما تحتويه من قيم ثقافية وعبق التاريخ، بل بات من الضروري توثيق هذه المواد رقمياً بغية إعداد سجل وطني و إقليمي لما يمتلكه كل إقليم من ممتلكات ثقافية على حدة

ليتوارثه الأجيال المتلاحقة والحفاظ عليه. وقد شهدت الآونة الأخيرة طفرة في المشروعات والتجارب الإقليمية والوطنية العربية في مجال توثيق التراث بطرق غير تقليدية مستخدمة في ذلك تطبيقات تكنولوجيا المعلومات لتقديمها في شكل جديد هو الشكل المرقمن، وتعرض هذه الدراسة للجهود والتجارب الرائدة في رقمنة التراث العربي. [6]

ث. **عدم الوقوف على عملية التلقين** : كثيرا ما يكتفي القائمون على التراث الشفوي في مستوى تبليغ، دون التلقين، من أجل تثبيت هذا التراث في ذهن المتلقي. ومن المعروف أن جميع نظريات التعلّم، تقرّ بأن التكرار هو أحد أنجع سبل التلقي والتعلم، وأن عدم إعادة المضمون المراد تعليمه على ذهن المتلقي، سيؤدي إلى نسيانه. وهكذا التراث الشفوي، الذي قد يعرض لمرة أو مرتين فقط على المتلقي، دون أن يتكرر على مسامعه، فإن هذا الأخير عادة ما يتعرض لنسيان ما تلقاه.

والتكرار يأخذ أشكالا متنوعة فعند حفظ آية من القرآن أو أبيات من قصيدة يكون الجهد ذهنيا و يعتمد على مهارة الحفظ و استحضار المعلومة لدى بعض الأشخاص ، فيما يفضل آخرون البدء بفهم النصوص المراد حفظها قبل البدء في الحفظ ، وهناك من يتقن الحفظ عن طريق كتابة النص المراد حفظه لعدة مرات ، فبالرغم من أن الهدف واحد إلا أن طريقة الشخص في تحقيقه تختلف. وهنا يستوجب على مرسل التراث الشفهي أن يصطبر في تكرار تلك المضامين، من أجل ترسيخها في ذهن المتلقي.

ويرى كويل أننا نميل إلى تذكر المعلومات و المهارات التي واجهنا في سبيل الوصول إليها بعض المحاولات الفاشلة و الأخطاء أكثر من تلك المعلومات التي تمكنا من تذكرها و اكتسابها بسهولة ، و يرى أن ذلك لا علاقة له بمقياس ذكاء الشخص وإنما بالوقت الذي أمضاه الشخص في الممارسة العميقة لاكتساب هذه المهارة.

و التكرار لا يعني الحفظ دون فهم ، أو إيصال المعلومة للمتعلم دون أن يبذل جهدا في الوصول إليها ، بل هي وسيلة ناجعة لتكريس التلقي الذاتي، و توجيه المتلقي لإيجاد أفضل السبل التي تعينه على اكتساب مهارة ما ، كما أنها إحدى الطرق التي قد تفيد في مجال

نقل التراث الشفهي، إذا ما أحسن استخدامها و طبقت بالتركيز على دور المتلقي بدلا من دور الملقي.

المراجع والإحالات :

1. بشير خلف التراث والهوية... التباهي والتكامل، مجلة الحوار المتمدّن، 2010، ص 41
2. لويس عوض، ثقافتنا في مفترق الطرق. الطبعة الثانية، دار الآداب ..بيروت 1983، ص، 57
3. هشام عبود الموسوي، دور التراث في المحافظة على الهوية الوطنية، مجلة المورروث، العدد 73، العراق، 2014
4. عادل سليمان، الأمثال الشعبية ومدلولاتها الاجتماعية، المنبر للنشر، الأردن، 2011، ص 34
5. فيصل حامد غزال، التراث الشعبي في مواجهة مخاطر التحديث، جامعة قطر، 2012، ص 39
6. عدنان الصافي، نحو رقمنة تراثنا من أجل المحافظة عليه، تاج للنشر، سلطنة عمان، 2014، ص 47